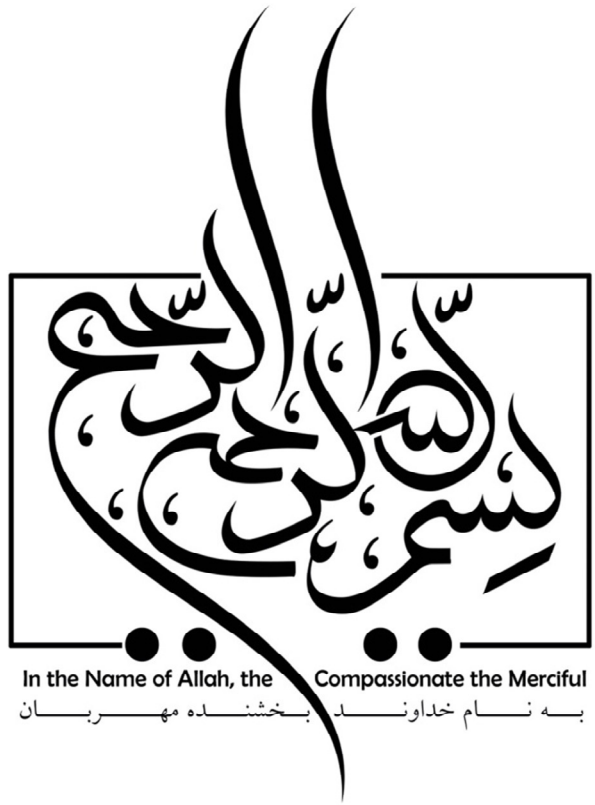

In the Name of Allah, the Compassionate the Merciful

به نام خداوند بخشنده مهربان

العلم والدّين

من منظور الرؤية الكونيّة التوحيديّة

مهدي كلشني

تعريب

السيّد كاظم الرضوي

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة بقيادة الإمام الخميني ﷺ، انبثقت ثورة علمية وثقافية كبرى، وتصاعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية في ظلّ المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفيري المتطرّف، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيّأت للعالم فرصًا فريدةً للاطّلاع الواسع بما يحيط به.

ومن هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق، واستخلاص النتائج الصحيحة في كلّ علمٍ من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأُصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق والنفس، والاجتماع، وغيرها؛ لتوقّف سعادة الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛ ولتحقيق الغرض العبادي الذي خُلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

فقامت في الحوزة العلمية حركة فكرية كبرى بتوجيه من قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي ﷺ وجهود الفقهاء والعلماء والمفكّرين، والعمل الجاد وبذل غاية الوسع، من أجْل بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وأخذت جامعة المصطفى ﷺ العالمية على عاتقها، المساهمة الفعّالة في صياغة كثير من المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تطوّر الحركة العلمية والثقافية الحديثة.

فأسست «مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر»، لينهض بنشر هذه الآثار العلمية وتقديمها لطلاب العلم وروّاد المعرفة.

مركز المصطفى ﷺ العالمي
للترجمة والنشر

الفهرس

المقدّمة ـــــــ ١٣

تقريظ من سماحة المرجع الديني آية الله العظمى حاج الشيخ جعفر السبحاني ـــــــ ١٧

الفصل الأوّل: العلاقة بين العلم والدّين في العالم الإسلاميّ في الحضارة الإسلاميّة وفي العصر الحاضر ـــــــ ١٩

١. المفهوم الإسلاميّ من العلم ـــــــ ١٩

٢. علل ازدهار العلم في القرون الأولى من الهجرة ـــــــ ٢٠

العامل الأوّل: تشجيع القرآن الكريم والسنّة على استكشاف الطبيعة واكتساب العلوم ـــــــ ٢٢

العامل الثاني: التشجيع على اكتساب العلم من أيّ مصدرٍ ـــــــ ٢٣

العامل الثالث: تكريم العلماء ـــــــ ٢٤

العامل الرابع: سيادة روح التسامح ـــــــ ٢٥

العامل الخامس: الاعتماد على الدليل والبرهان ـــــــ ٢٥

العامل السادس: سعي علماء المسلمين نحو الحقيقة ـــــــ ٢٧

العامل السابع: اجتهاد العلماء المسلمين من أجل اكتساب المعرفة ـــــــ ٢٨

العامل الثامن: شموليّة العلم الإسلاميّ ووحدة العلوم في الإسلام ـــــــ ٣٠

٣. أسباب أفول العلم في بلاد المسلمين ـــــــ ٣١

الفصل الثاني: العلم والدّين في أوروبا العصور الوسطى وفي القرون الماضية ـــــــ ٤٧

النظرة الكونيّة الأرسطيّة ـــــــ ٤٧

القرون الوسطى ـــــــ ٤٧

بداية العلم الجديد ٤٨
إله الفراغات ٥٠
نظام الطبيعة ٥١
ما هدف علماء الفيزياء الكلاسيكيين من دراسة الطبيعة؟ ٥٢
تأثير الملاحظات الكلاميّة على الفيزياء ٥٣
أسباب نموّ العلم في أوروبا ٥٤
نمو اللادينيّة والعوامل المؤثّرة فيه ٥٦
هيوم (١٧١١ ـ ١٧٧٦م) ٥٧
كانت (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م) ٥٨
أوغست كونت (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م) ٥٨
ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣م) ٥٩
علم الأحياء والإلهيّات في القرن التاسع عشر ٥٩
الفصل الثالث: العلاقة بين العلم والدّين ٦٥
١. التعارض ٦٥
٢. الاستقلال ٦٨
٣. الحوار أو التعامل ٧١
٤. الانسجام ٧٤
الإلهيّات الطبيعيّة ٧٥
إلهيّات الطبيعة ٧٧
العلم في امتداد الدّين ٨٠
الفصل الرابع: قضيّة عدم الاكتفاء الذاتيّ في العلوم التجريبيّة ٨٧
حتميّة الميتافيزيقا في العلوم التجريبيّة ٨٩
١. الحاجة إلى توجيه ميتافيزيقيّ للعلم ٨٩
٢. دور المبادئ الميتافيزيقيّة في العلم ٩٠
٣. وجود أسئلة في العلم لا يستطيع العلم نفسه الإجابة عليها ٩١

إحياء الفلسفة في العقود الأخيرة ٩٧
دور المبادئ الميتافيزيقيّة في اختيار النظريّات وشرحها ٩٨
الفصل الخامس: هل العلم والدّين ينتميان إلى ثقافتين مختلفتين؟ ١٠٧
الفصل السادس: علم الكون والخلق ١٢٣
تاريخ الكون ١٢٥
الانفجار العظيم ومسألة الخالق ١٢٦
نظريّة الحالة الثابتة ١٢٧
الكون الدوري (المتذبذب) ١٢٨
مسألة الخلق من العدم ١٢٨
الخلق المستمر ١٢٩
حدوث الزمان ووجود الخالق ١٣٠
الإيمان باستقلال الإلهيّات عن علم الكون ١٣١
عدم قدرة العلم على اكتشاف بداية العالم والاعتراف بوجود الخالق ١٣٢
الخلق من منظور القرآن الكريم والسنّة الإسلاميّة ١٣٣
وجهة نظر علماء الدين المسلمين حول خلق العالم ١٣٥
وجهة نظر الفلاسفة المسلمين حول خلق العالم ١٣٦
وجهة نظر العرفاء المسلمين حول خلق العالم ١٣٧
رأي الملا صدرا في خلق العالم ١٣٧
مقارنة آراء المفكرين المسلمين بالنماذج الكونيّة الحديثة ١٣٩
الفصل السابع: برهان النظم على وجود الله ﷻ بناءً على الشواهد العلميّة ١٤٧
تاريخ برهان النظم ١٤٩
الإشكالات على برهان النظم ١٥٠
وجهة نظر داروين حول برهان النظم ١٥٣
أقوال أخرى في برهان النظم ١٥٥

أسلوب جديد لبرهان النظم ١٥٦
مبدأ الأنثروبي وبرهان النظم ١٥٨
المبدأ الأنثروبي ١٦٠
تفسيرات مختلفة لمبدأ الأنثروبي (التنظيم الدقيق) ١٦١
١. نظريّة تعدد الأكوان ١٦١
٢. العالم المتقلّب ١٦٤
٣. الشرح المبني على نظريّة أعمق ١٦٥
٤. حضور المصمّم ١٦٦
الفصل الثامن: الإعجاز ١٧١
تعريف المعجزة ١٧١
المواقف المختلفة حول المعجزات ١٧٣
أ) موقف الإنكار ١٧٣
ب) موقف التأويل ١٧٣
ج) نظريّة الأشاعرة وبعض اللاهوتيين المسيحيين ١٧٤
د) موقف المعتقدين بالعلل غير المعروفة أو غير الماديّة ١٧٦
تأثير النفوس ١٧٨
الفصل التاسع: قضيّة الشرور في العالم ١٨٣
تاريخ مسألة الشرور في الغرب ١٨٣
أنواع الشرور ١٨٤
الآراء المختلفة حول الشرور ١٨٤
الفصل العاشر: مسألة هدفيّة الكون ١٩١
الفصل الحادي عشر: أصالة الروح من منظور القرآن الكريم والفلاسفة الإسلاميين وعلماء الغرب المعاصرين ٢٠٧
الأقوال المختلفة حول الروح ٢٠٧
١. وجهة نظر الفلاسفة المسلمين حول العقل: (النفس، الروح أو الشعور) ٢٠٨
٢. حجج الفلاسفة المسلمين حول تجرّد الروح ٢١١

٣. حجج الفلاسفة والعلماء المعاصرين حول عدم ماديّة الروح ٢١٢
٤. رأي العلماء الغربيين المعاصرين في الشعور ٢١٤

الفصل الثاني عشر: المعاد ٢٣١
١. ضرورة المعاد من وجهة نظر الديانات التوحيديّة ٢٣٢
أ) برهان هدفيّة عالم الطبيعة ٢٣٢
ب) برهان الحكمة ٢٣٢
ج) برهان الرحمة ٢٣٢
د) برهان الحقيقة ٢٣٣
هـ) برهان العدالة ٢٣٣
و) برهان تحقق الوعد الإلهي ٢٣٣
ح) برهان أخلاقيّ ٢٣٤
٢. الأدلّة على إمكانية المعاد ٢٣٤
أ) عن طريق وجود النظائر ٢٣٤
ب) عن طريق إحياء النباتات ٢٣٤
ج) برهان يهدفيّة العالم ٢٣٥
٣. براهين تجرّد الروح ٢٣٥
أ) مسألة القدرة العلميّة غير المتناهيّة للإنسان ٢٣٦
ب) أمنيات الإنسان غير المتناهيّة ٢٣٦
ج) حفظ الشخصيّة ٢٣٧
د) إدراك الكليّات ٢٣٧
هـ) عدم الانقسام ٢٣٨
و) وحدة الشخص ٢٣٩
ز) علم الإنسان بنفسه مع الغفلة عن بدنه ٢٣٩
ح) حريّة الإنسان ٢٣٩
ط) فكرة أنّ للبشر بُعدين ٢٤٠
ردّ الفلاسفة الإلهيين ٢٤٣

٤. أنواع المعاد (كيفيّة وقوع المعاد) ٢٤٥
أ) المعاد الجسمانيّ ٢٤٥
ب) المعاد الروحانيّ المحض ٢٤٥
ج) المعاد الجسمانيّ والروحانيّ ٢٤٦
شبهة (الآكل والمأكول) ٢٤٨
المعاد من وجهة نظر فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين ٢٤٩
فلاسفة اليونان ٢٤٩
المعاد في نظر القرآن الكريم ٢٥٢
ردّ القرآن على الشبهات حول المعاد ٢٥٤
المعاد في نظر التوراة والإنجيل ٢٥٤
مشكلة درك كيفيّة المعاد ٢٥٥
الفصل الثالث عشر: القيم والمسائل الأخلاقيّة في العلم والتكنولوجيا ٢٥٩
١. العلاقة بين العلم والأخلاق ٢٦٢
أ) العلاقة بين العلم والأخلاق على المستوى الميتافيزيقيّ ٢٦٢
ب) العلاقة بين العلم والأخلاق على المستوى العمليّ ٢٦٣
٢. لزوم مراعاة الاعتبارات الأخلاقيّة في عصرنا ٢٦٥
أ) التلاعب بالجينات الوراثيّة ٢٦٦
ب) الأزمة البيئيّة ٢٦٦
٣. أهميّة البعد الأخلاقيّ من منظور إسلاميّ ٢٦٧
أ) قدرة الإنسان على استخدام الموارد الطبيعيّة التي وهبها الله ٢٦٨
ب) المسؤوليّة البشريّة ٢٦٨
٤. الاتّجاه الأخلاقيّ للعلم والتكنولوجيا في الرؤية القرآنيّة ٢٦٩
أ) العلم النافع ٢٧٠
ب) التوازن في العالم وفي الأعمال الإنسانيّة ٢٧٠
ج) تزكية النفس ٢٧١
د) تجنّب الأحكام والقرارات التي لا أساس لها ٢٧١

الفصل الرّابع عشر: دور الميتافيزيقا في ربط العلم بالدّين ـــــــ ٢٧٧
١. العلاقة بين الميتافيزيقا والعلم ـــــــ ٢٧٧
٢. علاقة الدّين بالعلم ـــــــ ٢٨٠
٣. الميتافيزيقا جسرٌ بين العلم والدّين ـــــــ ٢٨٢
الفصل الخامس عشر: دور الدين في العلم ـــــــ ٢٨٥
دور الدين في العلم ـــــــ ٢٨٨
أ) دور الأصول الميتافيزيقيّة في العلم ـــــــ ٢٨٨
ب) قنوات معرفة الطبيعة ـــــــ ٢٩١
ج) الإجابة على الأسئلة التي لا يستطيع العلم الردّ عليها ـــــــ ٢٩٢
د) دور الدين في تطبيقات العلم ـــــــ ٢٩٤
الاستنتاجات الخاطئة عن العلم على أساس الدين ـــــــ ٢٩٨
الفصل السادس عشر: احتياج علم المستقبل إلى إطار عمل أكثر شمولًا ـــــــ ٣٠٣
١. لماذا فشل العلم المعاصر في الوفاء بوعد الخير؟ ـــــــ ٣٠٦
أ) الحصر في نطاق الحواس ـــــــ ٣٠٦
ب) حياد العلم تجاه القيم ـــــــ ٣٠٧
ج) اكتساب القدرة ـــــــ ٣٠٨
د) تجزئة المعرفة البشريّة ـــــــ ٣١٠
هـ) الأسئلة الأخيرة للإنسان ـــــــ ٣١١
٢. علم المستقبل ـــــــ ٣١٢

المقدّمة

مقدّمة الطبعة الثالثة المنقّحة

بدأ العلم الجديد في بيئة المتدينين، واعتبر مؤسسو العلم الجديد دراسة الطبيعة عبادة، لكن شيئًا فشيئًا، نضجت المدارس التي كانت تقدر الاكتشافات المستخلصة من التجارب الحسيّة فقط، فيما عزّز التقدّم السريع للعلم الجديد، من الناحية النظريّة والعمليّة، من مكانة هذا النوع من المدارس، ومع ظهور الوضعيّة والداروينيّة في القرن التاسع عشر، والمدرسة الفرويديّة في النصف الأوّل من القرن العشرين، والوضعيّة المنطقيّة في عشرينيات القرن الماضي، فقد الدين مكانته في الأوساط العلميّة، وتوقّع بعضٌ أنّه في القرن العشرين، سيترك الدين ميدان العلم تمامًا، ومع ذلك ـ مع الأضرار الناجمة عن الحربين العالميتين ونضج مدارس مختلفة في فلسفة العلم في النصف الثاني من القرن العشرين ـ اتّضح تدريجيًّا أنّ العلم لا يستطيع الإجابة على الأسئلة الأساسيّة للبشر، ولا يمكنه حتّى توضيح علّة نجاحه.

واتّضح أيضًا بأنّ الإنسان ـ بغض النظر عن العوامل الأخرى ـ لا يستطيع أن يوقف الآثار المدمّرة للعلم في إبادة البشر والبيئة؛ لذلك منذ الستينيات القرن الماضي فصاعدًا نرى عودة تدريجيّة إلى الدّين في بعض الأوساط العلميّة، فقد كتب «إيان بربور» في الستينيات كتاب «العلم والدّين» الشهير، الذي قسّم فيه الآراء حول العلاقة بين العلم والدّين إلى أربع فئات: التعارض، والاستقلال، والحوار، والانسجام. وفي العقد نفسه كتب «تشارلز تاونز» (الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء) مقالًا عن (التقارب بين العلم والدّين).

وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين، نشهد تدريجيًّا نشر الكتب والمجلات وعقد المؤتمرات في مجال العلم والدّين، وفي التسعينيات القرن الماضي قرّرت مؤسسة تمبلتون في أمريكا بمنح جوائز لتقديم دروس في مجال العلم والدّين، وتمّ تقديم هذه الدروس في معظم دول العالم.

ولقد شهدنا أيضًا في التسعينيات أنشطة مثمرة لبعض الجامعات في مجال العلم والدّين، وتمّ تأسيس عدد كبير من المؤسّسات ذات الصلة بالدّين في الجامعات والمعاهد البحثيّة، على سبيل المثال: في العقود الأخيرة من القرن العشرين، تمّ تأسيس جمعيّة الفلاسفة المسيحيين، وكان عدد أعضائها يتزايد باستمرار والآن أصبح لديها عدة آلاف من الأعضاء، أمّا النقطة المهمّة، فهي أنّ العلاقة بين العلم والدّين قد تغيّرت في النصف الأوّل من القرن العشرين من الوضع العدائيّ إلى الحوار.

فالعديد من العلماء البارزين الذين لم يعبّروا في السابق عن ميولهم الدينيّة، أصبحوا الآن يتحدثون عنها بصراحة، وكذلك على الرغم من أنّ الفكر العلمانيّ يسود في العديد من الدول الغربيّة، فإنّ عددًا كبيرًا من العلماء من الطراز الأوّل في العلوم المعاصرة قد ذكّروا أنفسهم بوضوح بأنّهم متدينون، وقاموا بالردّ على شبهات الملحدين والمشككين، واللافت للنظر أنّ الاتّحاد السوفيتي الذي كان لديه كلّ وسائل الديكتاتوريّة، لم يستطع القضاء على الكنيسة الأرثوذكسيّة، كما أنّه قد تمّ تقديم دروس في العلم والدّين لمؤسسة تمبلتون في ذلك البلد أيضًا.

وبهذه الطريقة ـ وخلافًا لما وعد به كثير من العلماء في أوائل القرن العشرين ـ لم يترك الدّين مشهد الحياة البشر فحسب، بل فرض نفسه بقوّة أكبر في حياة البشر، وقد رأينا انخراط العديد من العلماء البارزين في وقتنا الحاضر في الردّ على شبهات الملحدين والماديين، لكن للأسف لم تصل هذه الريح الإيجابيّة إلى بلادنا، وقد تعززت العلمانيّة في بيئاتنا العلميّة؛ يعود السبب الأساسيّ لهذه القضيّة إلى إهمال الأكاديميين المسلمين وفي كثير من الأحيان نخب الحوزة العلميّة.

الكتاب الحالي هو محاولة لشرح التحدّيات التي يطرحها العلم المعاصر ضدّ الأديان السماويّة. يستند أساس هذا البحث إلى درس قدّمته لأوّل مرة في عام ١٩٩٥م/١٣٧٤ش، في قسم فلسفة العلم في جامعة الشريف للتكنولوجيا، وفي العام نفسه استطاع أن يحصل على جائزة درس «العلم والدّين» من مؤسّسة تمبلتون.

وقمت في الفصل الدراسيّ الثاني من عام ١٣٩٦ ـ ١٣٩٧ش، بتقديم هذا الدرس مع إدخال العديد من الإضافات فيه مقارنة بالدرس السابق، ويُعدّ هذا الكتاب هو نتيجة الدرس الجديد. في هذا الكتاب ـ ومن خلال مراجعة أفكار بعض المفكّرين الغربيين البارزين ـ تبيّن أنّه في العديد من المسائل التي أثيرت بين العلم والدّين، هناك قواسم مشتركة كثيرة بين المفكّرين الدينيين الغربيين المعاصرين والفلاسفة والعلماء المسلمين، وأنّه باتّباع الرؤية الكونيّة الإسلاميّة، يمكن للمسلمين تحقيق التقدّم المطلوب والمستدام.

في هذا الكتاب، ناقشنا أوّلًا العلاقة بين العلم والدّين في العالم الإسلاميّ والعالم الغربيّ بعد ظهور العلم الجديد، ثمّ ذكرنا مدارس مختلفة حول العلاقة بين العلم والدّين، وطرحنا أيضًا قضية عدم الاكتفاء الذاتي للعلم التجريبي، وإمكانيّة سيادة ثقافة مشتركة واحدة بين العلم والدّين، ومن ثمّ تناولنا بعض القضايا الصعبة التي أثارها العلم الجديد أمام الأديان السماويّة كـ(وجود الله تعالى، وخلق العالم، والمعجزة، والشرّ، وهدفيّة العالم، وأصالة الروح، والمعاد)، ثمّ طرحنا موضوع العلاقة بين العلم والقيم، وتطرّقنا إلى موضوع مطلوبيّة العلم الدينيّ وضرورة وجود إطار أكثر شموليّة يحكم علم المستقبل.

ومن الواضح جدًّا أنّ بعض مواضيع هذا الكتاب قد وردت في بعض كتبي وكتاباتي البحثيّة السابقة وكان تكرارها هنا فقط بسبب ضرورتها وأهمّيتها.

بعد الطبعة الأولى من الكتاب في (ربيع ١٣٩٨ش)، وفي مدة قصيرة تمّ إصدار الطبعة الثانية المزيدة من قبل «جامعة خواجة نصير الدين الطوسي للتكنولوجيا» في شهر بهمن عام ١٣٩٨ش، ونشرت أيضًا الترجمة الإنجليزيّة للكتاب نفسه من قبل «مؤسّسة إيكو

الدوليّة الثقافيّة»، وبرعاية منشورات سفير أردهال، لبلدان المنطقة الثقافيّة «إيكو» والدول الناطقة بالإنجليزيّة في العالم، في عام ١٤٠٠ش. وأدّى تلقي ردود الفعل الدوليّة الإيجابيّة والمؤثّرة من الفلاسفة والباحثين في الدول الغربيّة، وكذلك المراجعات المستمرة والأسئلة الجديرة بالاهتمام للعلماء في البلدان العربيّة، إلى وضع تعريب هذا الكتاب على جدول أعمال جامعة المصطفى ﷺ العالميّة.

وقد تمّ تعريب الكتاب الحالي من الطبعة الثالثة المنقّحة للنص الفارسي من كتاب «علم و دين در افق جهان بينى توحيدى» الصادر عن منشورات جامعة خواجة نصير الدين الطوسي للتكنولوجيا في (شتاء ١٤٠١ش).

وفي الختام أرى أنّه من الواجب عليّ أنّ أتقدّم بالشكر الجزيل والتقدير العميق إلى سماحة آية الله العظمى الحاج الشيخ جعفر السبحاني (حفظه الله)، الذي قام بعد قراءة مسودة هذا الكتاب بتزيينه بتقريظ جميل، والشكر والتقدير لسماحة السيد كاظم الرضوي وسماحة الشيخ نجف العرفاني على اهتمامهما بتعريب هذا الكتاب ومراجعتهما اللغوية له، كما يجدر بنا تقديم كامل الشكر وجميل العرفان لسماحة الأستاذ حجة الإسلام والمسلمين الدكتور علي عباسي (رئيس جامعة المصطفى ﷺ العالمية) المحترم، وسماحة حجة الإسلام والمسلمين الدكتور مصطفى نوبخت (مدير مركز المصطفى الدولي للترجمة والنشر) المحترم على قبولهما لهذا العمل ودفعهما لهذا الكتاب إلى المطبعة، وكما نودّ أن نعرب عن امتناننا لسماحة الأستاذ الدكتور السيّد حجة الحق الحسيني من جامعة الخواجه نصيرالدين الطوسي للتكنولوجيا على خبراته الواسعة وآرائه السديدة خلال مراجعته للكتاب.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين

الدكتور مهدي كلشني

شهر آذر ١٤٠٢ش طهران